حكايات كليلة ودمنة

8

الحمامة المطوقة

بقلم: أ. عبد الحميد عبد القصود
ريشة: أ. عبد الغالي سيد
الغلاف: أ. حمدي مصطفى

إعداد
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الْحمامةُ الْمطوّقةُ

كانَ الْغرابُ يعيشُ فى وكْرِه الذى بناهُ فوْقَ شَجَرةٍ ضَخْمةٍ ، كثيرةِ الْفُروعِ ، مُتشابكةِ الأغْصانِ ، فى مكانٍ يعيشُ فيه الْكثيرُ مِنَ الْحيواناتِ والطُّيورِ ..

وكانَ الصَّيادُونَ يرتادُونَ الْمكانَ حامِلينَ شِباكَهُمْ وأدواتِ صيْدِهمْ ، بحثًا لوفْرةِ الصَّيْدِ فيه

وذاتَ يومٍ كانَ الْغرابُ يُطلُّ برأسِه منْ وكْرِه ، فرأى مُتَرَبِّصًا لهُ ابْنُ آوَى ، واشارَ الْخوفُ فى نفْسِه

لقدْ رأى صيَّادًا يحْملُ شبكةً ضخْمةً ، منَ النَّوْعِ الذى يُنْصبُ لصَيْدِ الطُّيور ، وعصًا عليقةً ، وقدْ وقف الصَّيَّادُ تحْت الشَّجرة التى عشَّش فيها الغُرابُ .

فقال الغُرابُ مُخاطبًا نفْسه ، والخوْفُ يمْلأُ قلْبهُ :

ـ لقدْ ساقَ هذا الصَّيَّاد إلى هذا المكانِ ، إما مَوْتى أوْ مَوْتُ غيْرى . لاشكَّ فى مكانى ، حتى أرى ماذا هو صانعٌ بهذه الشَّبكةِ الكبيرة .

ومكثَ الغُرابُ فى مكانه يُراقبُ ما سوْف يحْدُثُ .

أمّا الصيّادُ فإنهُ نصبَ شبكتَهُ بكلّ إحكامٍ ودِقّةٍ ، وأخفى أطرافَها على قدرِ استطاعتِهِ . ثم نثرَ عليْها الحُبُوبَ ، واختبأ بعيدًا عنْها ، هي انْتِظارِ الطيرِ الذي يقعُ فيها

ولمْ يمْضِ كثيرٌ من الوقْتِ ، حتّى جاءتْ حمامةٌ تُدْعى الحمامةَ المُطوّقةَ . كانتِ الحمامةُ المُطوّقةُ هي سيّدةُ الحمامِ كُلِّهِ ، وكانَ يطيرُ خَلْفَها سِرْبٌ كبيرٌ من الحمامِ

ولمّا رأتِ المُطوّقةُ الحبَّ مَنْثورًا على الأرضِ هي وباقي الحمامِ ، فرِحْنَ به ، ونزَلْنَ لالْتِقاطِهِ ، فَعميْنَ عنْ رُؤْيةِ الشبكةِ المَنْصُوبةِ لصَيْدِهِنَّ .

وفى لحظةٍ وقع الحمامُ كلُّهُ فى الشَّبكةِ .

وأخذتْ كُلُّ حمامةٍ تضربُ الشَّبكة بجناحيْها للخلاص منْها ، والنُجاةِ بنفْسِها ، دُون جدْوى ، ودُون أنْ تستطيع واحدةٌ منْهُنَّ فكاكًا من الشَّبكة

فلمَّا رأت الحمامةُ المطوّقةُ ذلك - وكانتْ أرْجحهُنَّ عقْلاً ، وأكثرهُنَّ حكْمةً - فكّرتْ بسُرْعةٍ فى المأزقِ الذى وقعْن فيه ، ورأتْ بثاقب فكْرها أنهُ لا نجاة لهُنَّ جميعًا إلا بالتعاوُنِ على دفْعِ هذا البلاء ..

ولذلك وجّهت المُطوّقةُ حديثًا إلى باقى الحمام قائلةً

- يجبُ أنْ تكُفَّ كلُّ واحدةٍ عنْ محاولةِ مُساعدةِ نفْسِها فقطْ ، حتى تنْجُو وحْدها ، لأنهُ لا نجاة لواحدةٍ منّا دُون نجاة الجميع .

فقالت إحدى الحمامات :

ـ وكيف يكون ذلك ؟!

فقالت المطوقة :

ـ إذا تعاونا كلنا امكننا قلع الشبكة والطيران بها ، فننجو جميعًا ..

واستحسن الجميع الفكرة ، وبدأت كل واحدة منهن تستجمع كل قواها للطيران بالشبكة دفعة واحدة .

وفى اللحظة التى كان الصياد يستعد فيها للانقضاض على الشبكة فرحا بصيده الثمين ، طار الحمام بالشبكة

ارتفعت الشبكة فى الفضاء وبداخلها الحمام ..

وتعجّبَ الصيّادُ ممّا رأى ، لكنّهُ لمْ يقطعْ رجاءَهُ منَ الحُصُولِ على الصيْدِ ، لذا قالَ مُمنّيًا نفْسَه :

ـ سرْعانَ ما يتّعبُ الحمامُ منْ حمْلِ الشّبكةِ والطّيرانِ بها ، وسرْعانَ ما يقعُ بالشّبكةِ على الأرضِ فأحدُه

يجبُ أنْ أتبعَهُمْ عنْ قُرْبٍ

وسارَ الصيّادُ يتْبعُ الحمامَ فى طيرانِه بالشّبكةِ ، والعُرابُ يتْبعُ الجميعَ ليرى ما يحْدُثُ

والتفتتِ الحمامةُ المطوّقةُ ، فلمّا رأتِ الصيّادَ يتبعُهُمْ عنْ قُرْبٍ وكلّهُ إصْرارٌ على اللّحاقِ بهمْ ، قالتْ مخاطبةً الجميعَ

ـ أرى الصيّادَ مُجدًا فى طلبِنا إذا طلّتْنا طائراتٌ فى الفضاءِ سهْلٌ عليْه تتبُّعُنا واللّحاقُ بنا ، ولا بُدّ أنهُ الآنَ يُمنّى نفْسَهُ بصيْدِنا

فقالت حمامةٌ :

- ومادًا تشيرين علينا انْ نفعل ؟!

فقالت المطوّقةُ

- يجبُ انْ نتوجّه إلى الْعُمْران إذا طرنا فوقَ إحْدى المُدنِ ، خفى على الصيادِ أمرُنا ، وصعُبَ عليه تتبعُ خُطُواتِنا .

وقالتْ حمامة أخرى :

- ومادا بعدُ ملكتْ ؟! هلْ نظلُّ طائراتٍ بالشبكة هكذا إلى ما لا نهاية ؟!

إنّنا لن نحتمل ذلك طويلاً سرْعان ما نتْعبُ وسنقطُ بالشبكة ، فيأخذُنا اى عابر سبيلٍ صيدًا سهْلاً .

فقالت المطوّقةُ

- لا تخْشين منْ ذلك شيْئًا ، فانا اعْرفُ منْ يستطيعُ تخْليصنا جميعًا منْ هذه الشبكة .

وقالتْ حمامةٌ ثالثةٌ :

ـ من هو الذى يستطيعُ تخليصَنَا من هذه الشبكةِ اللعينة ؟

فقالت المطوّقةُ :

ـ إنى أعرفُ جُرذًا يعيشُ فى جُحْرٍ قريبٍ منْ هُنا ، إذا ذهبْنا إليهِ قرضَ حبالَ الشبكةِ وخلّصنا من الأسْرِ .

هذا الجُرَدُ بمثابة الأخ والصديق ، ولنْ يُرضيهِ أنْ يراني في هذه الشَّبكة

واتَّجهَ سريعًا الحمام إلى الطيران فوقَ إحدى المُدنِ القريبة ، فعجزَ الصيَّادُ عنْ متابعةِ حركتهمْ ، وعاد من حيثُ أتى ..

أمَّا الغُرابُ فظلَّ طائرًا خلفَهمْ يتبعُهمْ عنْ قُربٍ ، وهو مُعجبٌ بذكائهمْ وإصرارهمْ

وصلتِ الحمامةُ المطوَّقةُ إلى الجُحْر الذي يعيشُ فيه صديقُها الجُرَدُ ، فنزلَ الجميعُ بالشَّبكةِ قريبًا منْ بابِ الجُحْرِ .

وبادتِ الحمامةُ المطوَّقةُ صديقَها الجُرَد ، فلمَّا سمعَ صوْتها وتأكَّدَ منْهُ أطلَّ برأسِهِ منَ الجُحْرِ .. ثم مانَ الحزنُ والفزعُ عليهِ واتَّجه إليها قائلاً

ـ ما الَّذي أوقعكِ في هذا المأزقِ يا مُطوَّقةُ ؟

ووقف الغرابُ قريبًا ، ليرى ما يحْدُثُ ويسْمعُ ما يدُورُ ، فقالتِ الْمطوقةُ

- ألمْ تعْلمْ أنّه ليْسَ منَ الْخيْرِ أوِ الشّرِّ شيْءٌ ، إلا وهو مقْدُرٌ ومكْتُوبٌ على كلّ منْ تُصيبُهُ الْمقاديرُ ، وهو الّذي أوْقعنى فى هذه الشّبكةِ .

فقال الْجُرذُ

- صدقْتِ يا مُطوّقةُ

وأضافت الْمطوّقةُ قائلةً :

- وقدْ لا يمْتنعُ منَ الْوقوعِ فى الشّراكِ منْ هو أقْوى منّى وأعْظمُ قدْرًا . لقدْ جئْتُكِ حتّى تقْرضى حبال الشّبكةِ وتُخلّصنا بأسْرعِ ما تقْدرُ منْ هذا الأسْرِ

فقال الْجُرذُ

- حالاً ..

وبدأ الْجرذُ فى قرْضِ جزْءِ الشّبكةِ الّذى تعلّقتْ فيه أرْجُلُ الْحمامةِ الْمطوّقةِ .

فقالت المطوّقة

ـ ابدأ مقرّض بقيّة الشبكة ، حتى تخلّص سائر الحمام أوّلاً ثمّ تقرض الجزء الذى أنا فيه وتخلّصنى ـ

ولكنّ الجرذ لمْ يستمعْ إلى نصيحتها ، واستمرّ فى قرْض حبالها هى ، فاعادتْ عليْه القول عدّة مرّات ، وهو مُستمرٌّ فى عمله دُون أنْ يلْتفت إلَيْها ، فلمّا كرّرتْ عليْه ذلك كثيرًا الْتفت إليها قائلاً :

ـ لقدْ كرّرْت علىّ كثيرًا ، كأنّك ليْس لك فى نفْسك حاجةٌ ، ولسْت مُشْفقة عليْها ؟!

فقالت الْمطوقةُ

ـ إنى اخافُ إذا أنْتَ بدأْتَ بقَطْعِ حبالى أنْ تتْعَبَ وتملَ فتكسَلَ عنْ قَطْعِ حبالِ بقيّةِ الْحمامِ ، فأكونُ قدْ خلّصْتُ نفْسى ، وتركْتُ رفيقاتى ، وهذه هى الأنانيةُ بعينِها وحُبُّ النفْسِ . أمّا إذا بدأتَ بقطْعِ حبالِ بقيّةِ الْحمامِ ، وكُنْتُ أنا الأخيرةَ ، فإنكَ لنْ ترْضى أنْ تتْركنى فى الأسْرِ ، حتى لوْ ادْركَكَ التّعْبُ والْفُتُورُ .

فأدّى الْجرَذُ إعْجابهُ برجاحةِ عقْلِها ، وحُسْنِ تفْكيرِها وقالَ

ـ صدقْتِ يا مُطوّقةُ .. ليْس عجَبًا انْ تكونى سَيّدةَ الْحمامِ . إنّ هذا ممّا يزيدُ فى مودّتِكِ وصداقتِكِ .

وأخذَ الْجرذُ يعملُ بهمّةٍ ونشاطٍ ، حتى خلّصَ كلَّ الْحمامِ منَ الشّبكةِ وأطْلقَ سراحهُ

فشكرتْهُ الْمطوّقةُ ، وطارتْ معَ باقى الحمامِ ، والْجميعُ فرِحٌ بمجاتِه ونيْل حرّيّتِه .

(تمّتْ)

السمكاتُ الثلاثُ

كانتْ ثلاثُ سمكاتٍ تعيشُ معًا فى غديرٍ .

وكانَ ذلك الغديرُ فى مكانٍ مُرْتفعٍ منَ الأرضِ . وكانَ بقُربِهِ نهرٌ جارٍ كثيرُ المياهِ . ولمْ يكنْ يقربُ الغديرَ أحدٌ للصيْدِ ، لبُعْدِهِ عنْ مكانِ العُمْرانِ .

وكانتْ إحْدَى السمكاتِ الثلاثِ تسمَّى الذكيَّةَ ..

وكانتِ الثانيةُ تُسمَّى الأذكى منْها .

أمَّا الثالثةُ فكانتْ تُسمَّى العاجزةَ الرأْى .

ودات يومٍ مرَّ بجوارِ الغديرِ صيَّادانِ وشاهدَا ما فيهِ منْ سمكٍ كثيرٍ ، فاتَّفقَا على أنْ يعُودَا إليْهِ بِشِباكِهِما ، ويَصيدَا كلَّ ما فيهِ منْ سمكٍ ثم انْصرفَا .

وسمعتِ السمكاتُ الثلاثُ ما اتَّفقَ عليْهِ الصيَّادانِ ، فاخذَتْ كلُّ واحدةٍ منْهُنَّ تتصرَّفُ حسبَ ذكائِها وفطْنتِها . أمَّا السمكةُ الذكيَّةُ حذَا ، فقدْ لجأتْ إلى حيلةٍ تدُلُّ على فطْنتِها وحُسْنِ تفكيرِها ، حيْثُ سبحتْ فى الغديرِ ، حتى وصلتْ إلى الفُتْحةِ التى يدْخلُ منْها الماءُ من النهْرِ إلى الغديرِ ، فخرجتْ منْها إلى النهْرِ ونجتْ منَ الخطرِ .

وأمّا السمكةُ الذّكيّةُ ، فإنها مكثتْ فى مكانها بالْغدير ، حتى جاء الصيّادان ، فلمّا رأتهما وتأكّدتْ أنهما جاءا لصيْد كُلّ السّمك الذى بالْغدير ، أخذتْ تبحثُ عنْ وسيلة للنّجاة ، وحاولتْ أنْ تفْعل مثْلما فعلتْ صاحبتُها الأولى ، وتخْرج منْ فتْحة الْغدير ، لكنّها فُوجئتْ بأنّ الصيّادين قدْ سدّا فتْحة الْغدير عليْها ، فلمْ تسْتطع الْخروج كما فعلتْ صاحبتُها ، فحدّثتْ وقالتْ فى نفْسها

ـ لقدْ قصّرْتُ عنْ الْمُسارعة إلى النّجاة فى الْوقْت الْمُناسب بعْد أنْ علمْتُ بالْخطر ـ يجبُ أنْ أبْحث عنْ حيلة أُخْرى للنّجاة ، وقلّما تُفْلحُ الْحيلةُ مع الْعجلة ـ لكنّ الْعاقل يجبُ ألا يبْئس أبدًا ، حتى فى أشدّ أوْقات الضّيْق والْخطر

وبَعدَ قليلٍ وانتَبَها فكَّرَتْ فقرَّرَتْ أنْ تُنقِذَها ، فرُبَّما أفْلَحَتْ وبحثَتْ لقدْ تظاهرَتْ بالمَوْت ، فراحتْ تطفُو على وجْهِ الماء ، مُثقلةً على ظهْرِها تارةً ، وعلى بطْنِها تارةً أُخْرَى ، وهى تقْتَرِبُ منَ الصيَّادَيْنِ ورآها أحدُ الصيَّادَيْنِ ، فأخذها وألقَى بها على الشَّطِّ بيْنَ العَديرِ والنَّهْرِ ، ظنًّا منْهُ أنها مَيْتةٌ

وانْتهزَتِ السَّمكةُ الفُرْصَة ، فقفزَتْ إلى النَّهْرِ ونجَتْ فى آخرِ لحْظةٍ بفضْلِ حيلتِها

أمَّا السَّمكةُ العاجزةُ ، قاصرةُ الرَّأى ، فإنها لمْ تستطعْ أنْ تفْعلَ شيئًا ، فأخذتْ تتقدَّمُ مرَّةً ، وتتأخَّرُ أُخرى ، حتى راها الصيَّادان فاصْطاداها

(تمَّتْ)

رقم الإيداع : ٣٧٤٦
الترقيم الدولى ٧ - ٣٤٤ - ٣٦٦ - ١٧٧